

زواج بحار

برغبته هذه وتبعاً للتقاليد خطبت له فتاة دون أن يراها أو يتحدث إليها... .

لا تتصور أنها القارىء مقدار فرح الشاب عندما أنبىء بيوم زواجه ، لقد طاف بالأصحاب يدعوهم إلى حضور ليلة زفافه وطلب من بعض أصحابه البحارة أن يحضروا معهم طبولهم ودفوفهم ليكتمل الفرح ويتم السرور ..

زف الشاب إلى دار زوجته بين دقات الطبول وزغاريد النساء ، وبعد أن طاف الخدم بالبخور وماء الورد ، أخذ أصحابه يخلون له الدار بعد أن هناؤه بالرفاء والبنين . خلت الدار من المهنيين وزفت العروس إلى عريسها . ليس بثوب الزواج ، وإكليل الزهر يزين رأسها ، بل زجت إليه ملفوفة بعباءة سوداء ، إرتمت حال وصولها باب الغرفة في ركن بعيد تبكى وتولول . نعم تبكى وتولول بدل أن تضحك وتفرح ، ولا لوم عليها إن بكى بل لالوم عليها إن ولولت فهي لا تعلم ماهى قادمة عليه غير أن رجلاً تجمله كل الجمل قيل إنه سيتزوجها فهي تعتقد أو يخيل إليها أن ذاك الشاب ماهو إلا وحش سينقض عليها ويفترسها ..

وبعد معركة .. استطاع الشاب أن يكشف عن وجه زوجته فرأى - وبالقبح مارأى - فتاة أفقدها الجدري إحدى عينيها بعد أن شوه وجهها ، ذات أسنان كالنياب الأسد أو هى أشد . فما كان من الشاب إلا أن أحس بقشعريره مؤلمة من هول هذه الصدمة فانزوى في ركن من أركان الدار يندب حظه ويبكى سعادته .

مضى على مايقارب الشهر لم أر صاحبتنا فيه وصدقة وفى أحد المجالس التى ضمتنى مع جمع من الرفاق أخذ أحدهم يقص على قصة صاحبتنا الشاب قائلاً : أتعرف فلاناً ؟ .. قلت - كيف لأعرفه ؟ وقد نشأ معنا فى حى واحد . قال إذا أنت تعرف ذلك الشاب الذى كان مثالا للبحار القويم المؤدب ذى الأخلاق المتينة والعادات الحميدة ؟ لقد أصبح بعد زواجه فاسقاً يقضى سحابة نهاره وجميع ليله فى بيوت الدعارة ، أصبح من مدمنى الخمر بعد أن كان أكثرنا استزماً بشاريها ، أصبح لا يعرف بيته إلا ساعات محدودة بعد أن كان لا يغادره إلا للعمل .

قال الفتى وهوىشد على يدى فرحاً مسروراً وإننى اليوم أسعد مخلوق فى العالم فغداً يتحقق حلمى الذى طالما انتظرت تحقيقه بفارغ الصبر ، غداً سألج باب السعادة الذى أغلق دونى زمنأ طويلاً ، والذى أفنيت مايقرب من الثلاثين سنة عملاً متواصلاً فى سبيل الوصول إلى هذه الغاية . فها تفضلت بحضور حفلة زفانى هذه الليلة ؟ .. قلت - وهل اتخذت الإجراءات اللازمة وأعددت العدة لمثل هذا الحدث العظيم ؟ قال : (وهو يفهمه ضاحكاً) لا تخف فابن البحر لا تفوته صغيرة ولا كبيرة

كان هذا الشاب بحاراً كأغلب أهالى الكويزت نشأ وعاش فى بيت كل مافيه من البحر وللبحر . فهناك تجد كومة من الشرع ، وفى هذا الركن عدد من المجاديف ، وفى ذاك طيات من الحبال ، وما إلى ذلك من أدوات البحر . والفتى لا يرى أباه وإخوته إلا ذاهبين إلى البحر مهتمين به فهو شغلهم الشاغل وعملهم المستديم ، لذلك لم يكن بمستغرب أن يشب الفتى وكل أمله أن يصبح بحاراً لا يشق له غبار ولا يحاربه أحد فى ذلك المضمار ، كما كان أبوه وعمه ، وليس بمستغرب أيضاً أن يكون ماهراً فيه ، فابن البط - كما يقول المثل - عوام ...

ها قد تحققت أمنيته التى كان يصبو إليها ، ولكن ماذا بعد ذلك .. ؟ إنه سمع من أبيه أن الإنسان لا يخاطر بنفسه فى هذا البحر لأن يصبح بحاراً فحسب ، بل يجب عليه أن يجمع المال الكافى ليتزوج ويكمل نصف دينه ..

ورسخت فكرة الزواج التى سمعها من أبيه فى ذهنه وأخذ يعمل جاهداً لتصبح هذه الأمنية حقيقة واقعية ، فأنت لا تتحدث إليه إلا ويعرج بك فى حديثه على الزواج وفوائده وأنت لا تسأله عن أمله فى الحياة إلا ويحيبك قائلاً : إن كل ماأصبو إليه هو أن أتزوج ، وأكون لى عائلة وأولاداً يحملون اسمى من بعدى

هكذا كانت حاله ، عمل متواصل وشغل مستديم يحدوه أمل ، وتشدد من عزيمته رغبة ، ألا وهى الرغبة فى الزواج . استطاع الفتى بعد مضى ثلاثين عاماً قضاها فى عمل شاق وتعب مرير أن يجمع مالا كافياً للزواج ثم أفضى لوالديه